الرهان المعرفي في الدراسات الحداثيّة للنَّص القرآني

م . د . حيدر كامل متعب العارضي
الكليّة التربويّة المفتوحة – مركز المثنى الدراسي – قسم التربية الاسلامية - العراق

Hader.kamel47@gmail.com

ملخص البحث : شهدت العقود الأخيرة ظهور تيارات فكرية مستوحاة من المناهج الغربية الحديثة, راهنت على اثبات تاريخية النص وإن اختلفت اساليبها , لانّها تراه مفرزًا للثقافة والبيئة التي قصدها النص, ومن هنا حاول روّادها من العرب اخضاع النص القرآني لمناهج وادوات جديدة في البحث نحو : التفكيكية التي تشكك في وجود معنى ثابت او محدد في النص, والهرمنيوطيقا التي تفسّر النص بناءً على سياقات ثقافية واجتماعية للمفسر, كما انَّ البنيوية ركز ت على دراسة العلاقات الداخليّة بين العناصر المكوّنة للنظام اللغوي, وتجاهلت المضمون الروحي في النص القرآني مما افقده قدسيته, كما ان السيميائية تختزله في مجموعة من العلامات والرموز وتجرده عن مقصده الكلي بوصفه رسالة إلهيّة للبشر , فهذه المناهج اضعفت الثقة بالنص, لأنها تتجاهل جهة صدوره ومرجعية فهمه, وإن كانت تحاول تقديم قراءات جديدة للقرآن الكريم. لكنها تحمل في طياتها خطراً كبيراً على فهم النص القرآني وروحه ومقاصده .

الكلمات المفتاحيّة : الرهان , ثبات المفهوم , التأريخية , الاساس المبنائي , الواقع .

Abstract :

In recent decades, there has been a rise of intellectual currents inspired by modern Western methodologies, which aimed to prove the historicity of the text, albeit with differing approaches. They view it as a product of the culture and environment intended by the text. Thus, their pioneers among Arabs attempted to subject the Quranic text to new research methodologies and tools, such as deconstruction, which questions the existence of a stable or defined meaning in the text, and hermeneutics, which interprets the text based on the cultural and social contexts of the interpreter. Structuralism focused on studying the internal relationships between the elements constituting the linguistic system, while neglecting the spiritual content of the Quranic text, which diminished its sanctity. Semiotics reduces it to a collection of signs and symbols, stripping it of its overall purpose as a divine message to humanity. These methodologies have weakened trust in the text because they ignore its source and the reference for its understanding, even though they attempt to offer new readings of the Holy Quran. However, they carry within them a significant danger to the understanding of the Quranic text, its spirit, and its objectives.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمـدُ للـهِ نحمـده ونسـتعينه ونتـوب إليـه، ونعـوذُ بـهِ مـن شرورِ انفسـنا، وسـيئاتِ أعمالِنـا، مَـن يهـده اللـه فـلا مُضـل لـه، ومَـن يضلـل فـلا هـادي لـه، وأفْضَـلُ صَلَواتِـه وأكْمَـلُ تَسْـلِيماته عَـلى رسُـولهِ وآلـهِ المُصْطفـينَ الأخيـار، وبَعْـدُ:

مثلـت منطلقـات الدراسـات الحداثيـة للقـرآن الكريـم أساسًـا نظريًـا للتأويـلات المعـاصرة, وتكاثفـت الجهـود حـول ابعـاد القـراءة الموروثـة للوحـي في رسـم حـدود الاسـلام وازدادت خطورتهـا بإتباعّهـا مناهـج نشـأة في غـير بيئـة النـص القـرآني بحجـة عصرنـة الفهـم, ادى ذلـك بالنتيجـة الى تضـارب تلـك الـرؤى وتباينهـا الى حـد اخضـاع النـص القـرآني للنقـد والتحليـل بعـدِّهِ خطابًـا ديناميكيًـا يتـماشى مـع حاجـة الانسـان, وقـد اظهـرت تأثيراتهـا تحـوّلًا خطـيرًا عـلى المنظومـة الاسـلاميّة, إتّخـذت صـورة التسـاؤل البـريء عـن امكانيّـة إعـادة قـراءة النَّـص قـراءة حديثـة تعـاصر مجريـات الأحـداث, وتهتـم بإنتـاج نـص ذو قيمـة حضاريّـة يسـعف الحـاضر بإجابـات جديـدة. إنَّ المـشروع النقـديّ الـذي تمارسـه هـذه الدراسـات يتضمـن في الواقـع عمـلًا تأويليًـا, والتأويـل لهـذه النصـوص يقـوم عـلى الوعـي بمقولـة التأريخيّـة للنّـص :اي ارتبـاط النـص بثقافـة الزمـان والمـكان, وتاريخيّـة الفهـم نفسـه :اي التغـير والتطـور في البنـى

والمفاهيم مع تعاقب الازمان, وهذا هو الرهان المعرفي الذي تراهن عليه مثل هذه الدراسات, ولذا فإنَّ الوقوف على مباني او منطلقات هذا المشروع بدراسة (الرهانُ المعرفيُّ في الدراساتِ الحداثيّة للنَّصِ القرآني) لا يخلو من فائدة, لأننا بالوقوف على تلك المنطلقات التي يستند اليها رهانهم في مشروعية القراءة الجديدة او المعاصرة, يمكّننا من الفهم والتحليل الدقيق لمثل هذه الدراسات الحداثيّة ومن ثم يمكننا تقديم معالجات مناسبة لاشكاليّة هذا المشروع الحداثي, وبناءً على ما تقدم سأضمن البحث مقدمة أُبيّن فيها الاشكاليّة المتولّدة من هذا المشروع واثارها على الفكر الاسلامي من خلال افتراضات علمية يتناولها البحث في ثناياه, كما سأشير الى المنهج العلمي الذي سيتبعه البحث في التأكد من صحة هذه الافتراضات, يليها مبحثين يحاول الاول منهما أن يقف على رهان الدراسات الحداثية والاشكالات التي تبرمها حول النص القرآني بقصد شرعنة مقولاتها, ويتناول الثاني رؤية استكماليّة تعتمد في النقد والتقويم على النقض والابرام لتجسّر المعرفة مع مقولات التراث, وتحترم تطوّر مناهج البحث وآليات الفهم الجديدة, لأننا لا نقف موقف الضد من القراءات المعاصرة بمناهجها الفلسفيّة اذا لم تغادر الضوابط المعرفيّة في دائرة الفكر الاسلامي.

المبحث الاول

رهان الدراسات الحداثيّة

المطلب الاول : مبنى فهم النص القرآني في الدراسات الحداثيّة

تُصرُّ بعض الدراسات الحداثيّة على التعامل مع الأفكار التقليديّة وفق مشروطيّتها الاجتماعيّة التي انتجتها, واعتبارها مرجعيّة للنصّ الديني في محاولة لتحرير الفكر العربي من المرجعيّات الغيبيّة ([١] .ص. ٢٦- ٢٩), هو الملمح الأوَّل لمن يّطالع دراسات الحداثيين حول النص القرآني بنحوٍ من التدقيق, ولا يخفى ما يشير اليه هذا الملمح من تمسّك هؤلاء بالقول بتأريخيّة النَّص القرآني, الذي اخذ موقعًا رئيسًا داخل العُدّة المنهجيّة في مثل هذه الدراسات؛ لأنها تريد التخلّص من الازليّة والجمود, والفكر التقليدي يقاوم هذه النظرة بشكل استثنائي- بحسب مدّعاهم- ومن هنا تنهض التأريخيّة بوصفها رهانًا معرفيًا في هذه الدراسات, ولعلَّ أول ظهور لهذا المصطلح في كتابات العرب كان على لسان المفكر المغربي»عبد الله العروي([٢] .ص. ٢٩٦), ولكن توظيفه في قراءة النَّص القرآني ظهر على يد «محمد اركون», في كتابه (تأرخيّة الفكر العربي الاسلامي) ويقول في موضع آخر من نتاجه العلمي: ((اريد لقراءتي هذه أنّ تطرح مشكلة لم تطرح عمليا قط بهذا الشكل من قبل الفكر الإسلاميّ ألا وهي: تأريخيّة القرآن وتأريخيّة ارتباطه

بلحظة زمنية وتأريخيّة معينة حيث كان العقل يمارس آليته وعمله بطريقة معينة ومحددة . وبالتالي فلم يعُد ممكنًا اسقاط مفهوم العقل وتحديدات العقل على القران)) ([٣].ص. ٢١٢), وهذا التوظيف ليست فكرة غربيّة تناهت الى قراءاتنا, وانّما الوجود الانسانيّ الماديّ خاضعٌ لها إذ لا يمكنه أنّ يتعالى على الزمان والمكان, ومن ثمُّ فإنَّ كل أفكار هذا الموجود- الانسان- ترتبط ببشريّته, ارتباطًا وثيقًا, وبالتالي يصبح تفسيرنا لأيُّ مستوى من مستويات الوحي لا يمكن أنّ يحصل خارج مشروطيتنا الاجتماعيّة([٤] .ص. ٤٨), ولكن ماذا تعني التأريخيّة عند هؤلاء ؟ .

تعرّف التأريخيّة بأنّها:((الامور الحاضرة ناشئة عن التطور التأريخي)) ([٥] .ص. ٢٢٨), بمعنى ان الظواهر والاحداث الحاضرة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالزمان والمكان, وبالرغم من اختلاف ادوات المنهج والاسلوب بين اركون وعلي حرب,إلا ان الاخير يؤكد ايضًا ذلك الارتباط بقوله : ((أنّ للأحداث والممارسات والخطابات اصلها الواقعي, وحيثياتها الزمانية والمكانية وشروطها المادية والدنيوية, كما يعني خضوع البني والمؤسسات والمصطلحات للتطور, أي قابليتها للتحويل والصرف واعادة التوظيف)) ([٦] .ص. ٥٦),ومن ثمَّ فإن فهمنا للظواهر الحاضرة يعتمد على الظروف التي رافقت ولادتها, وإذا كانت هذه الظروف التاريخية يُبحث عنها بواسطة متعلقها -الانسان- فإنه هو الآخر يكون تاريخي الوجود, يقول ابو زيد : ((أنّ الوجود الإنساني تأريخيّ ومعاصر في نفس الوقت ولا يستطيع الإنسان تجاوز افقه الراهن في فهم الظاهرة التأريخيّة, ولا يستطيع أنّ يتحوّل إلى الماضي ليكون مشاركًا فيه ويفهمه فهمًا موضوعيًا. أنّ التقاليد التي انتقلت الينا عبر الزمن هي المحيط الذي نعيش فيه, وهي التي تشكّل وعينا الراهن)) ([٧] .ص. ٤٢), فوعيُ الإنسان تاريخي بهذا اللحاظ, ولكن فهمنا لواقع الظاهرة هل يقتصر على الحقائق ام يتجاوزها الى كل ما يكوّن الواقع ويؤثر فيه ؟

ففي رصد ابعاد الظاهرة في الواقع فإنّنا نجد رأيين

الاول: يرى ان ما ينبغي البحث عنه هو الحقائق بعيدًا عن الابعاد الميثيّة ([٨] .ص. ٣١٧), في الوسط الذي نشأة فيه الظاهرة , وهذا ما يراه «عبد الله العروي» وغيره من المفكرين العرب([٩] .ص. ٦٨), فقراءتنا للتاريخ تلتزم بالكشف عن الاحداث الحقيقيّة, والتي ساهمت في تحديد المفاهيم, وهذا ما يسمى بـ(التأريخانيّة) بمعنى مجموعة الظروف الماديّة التي ظهرت فيها الظاهرة, ولا دخل للمخيال والخرافات في رسم مفاهيم الظاهرة فإنها بحسب هذا المدعى ليست لها حقائق وما لم يكن له حقيقة فهو

عـدمٌ .

الآخـر: يـرى ان البحـث ينبغـي ان يتنـاول جميـع محـركات الوعـي التاريخـي كالوهـم والخيـال والاسـطورة والخرافـة, يـرى «محمـد أركـون» ان النصـوص المقدسـة تمثـل نموذجًـا غنيًـا بالتعبـير الميثـي([١٠] .ص. ٢١٠), ولـذا فهـو يعُـد الوهـم والمخيـال والاسـطورة والخرافـات محـركًا للوسـط الـذي تنشـأ فيـه الظاهـرة, وعليـه لابـد مـن قـراءة كل مـا لـه صلـة بصـيرورة الاحـداث في الواقـع, وهـذا يمثـل فرقًـا في تحديـد معنـى التاريخيـة بـين «اركـون» وغـيره مـن المفكريـن العـرب , يقـول «اركـون» : ((أنّ تمييّزنـا بـين التاريخانيـة والتأريخيّـة يأخـذ هنـا أهميّـة خاصّـة نموذجيّـة: ذلـك أنّ في الحالـة الاولى(تأريخانيّـة) فـإنَّ الامـر يتعلـق بمنهـج تكتيـكي يكتفـي بتسـجيل الوقائـع التأريخيّـة وترتيبهـا في خـط زمنـي متواصـل تقـرأ فيـه البدايـات والاصـول والتأثـيرات والاحـداث مـن كل نـوع, وامّـا في الحالـة الثانيـة فإنّنـا نجـد أنّ الـروح المغموسـة في التاريـخ المـاضي والحـاضر للجماعـة تتسـاءل بالإضافـة إلى مـا سـبق عـن معنـى دلالـة القـوى التـي تضغـط عليهـا وعـن الوسـائل التـي تُمكّنهـا مـن السـيطرة عـلى هـذه القـوى . أنّ نتبـصر التأريخيّـة ونفكـر فيهـا امـر يعنـي اعـادة ادخـال كل مـا تمحـوه التاريخانيـة عـادة أو تتجنبـه باحتقـار, أي كل الحماسـات الجماعيـة والاحـلام الممكنـة والتطلعـات غـير المشـبعة والمبـادرات المجهضـة والاسـطورة المحركـة والفـورات الالفيّـة وقـوى المخيلـة, أي باختصـار كل القـوى التـي حركـت التاريـخ الكبـير والتـي كانـت العقلانيـة الوضعيـة قـد تجاهلتهـا)) ([١١] .ص. ١٢٣), ولعـلَّ هـذه التفرقـة تعطي مزيـدًا مـن الدقـة والوضـوح في التمييـز بـين المقاربـات الفكريّـة المنفتحـة([١٢] .ص. ١٩) .

لقـد جعـل «محمـد اركـون» مـن اثبـات تأريخيّـة النـص القـرآني هـمُّ مشروعـه, ولـذا وسّـعَ في دلالتهـا, بإدخالـه للجوانـب الميثيّـة في فهـم النـص ومـن ثـمَّ تصبـح حقيقـة مـراد النـص سراب الظـمآن همّـهُ ان يجعـل مـن النـص المقـدس ظاهـرة يلبسـها الواقـع اثوابـه ليصبـح القـرآن الكريـم :((عبـارة عـن مجموعـة مـن الـدلالات والمعـاني الاحتماليّـة المقترحـة عـلى كل البـشر، وبالتـالي فهـي مؤهلـة لأن تثـير أو تتيـح خطوطًـا واتّجاهـات عقائديـة متنوعـة بقـدر تنـوع الأوضـاع والأحـوال التأريخيّـة التـي تحصـل فيهـا أو تتولـد منهـا)) ([١٣] .ص. ١٤٥), وهـذا الحضـور للواقـع في فهـم النـص القـرآني لا يختلـف عـما عنـد ابـو زيـد([١٤] .ص. ١١٧), وبذلـك يصبـح النَّـص القـرآني مشروطًـا زمكانيًـا في مقابـل المطلـق لا يسـتطيع مخاطبـة الحـاضر, ومـن ثـمَّ تنتفـي اهميتـه لا اقـلَّ في جانـب الارشـاد والوعـظ او في آيـات الاحـكام, لان الحكـم يأخـذ بنظـر الاعتبـار قيمتـه مـن معالجـة مسـألة خاصـة واذا كانـت احكامـه لهـا صفـة التاريخيـة

فـإن لا ترفـد المجتمـع بمعالجـات دقيقـة للاحـداث المتطـورة .

وبنـاءً عـلى مـا تقـدّم فـإنَّ تحديـد مرجعيّات لفهـم النَّـص تعتمـد الوقائـع الماديّـة او الغير مادية(اسـاطير, اخيلـة, اوهـام), يشـير بجـلاء إلى تأثـير الواقـع الموضوعـيّ في الفهـم, إذ أنَّها تُوسّـع في ممارسـة قـراءات متعـدّدة للنّـص, بإسـتراتيجية التأويـل المؤدلـج, الـذي يتعارض مـع الـروح الشـموليّة للنـص القـرآني؛ فـإنَّ مثـل هكـذا قـراءات تعنـي حكـم الزمـكان عـلى النَّـص, ومـن ثـمَّ توجيـه فهمـه الى لحظـة تاريخيّـة, وقـد فتـح هؤلاء-اسـتدلالًا- لإثباتهـا, ابوابًـا عـدّة .

المطلـب الثـاني: ادلّـة اثبـات صـدق تاريخيـة النـص القـرآني في الدراسـات الحداثيّـة

تأييـد آراء الحداثيـين العـرب لم يقـف عنـد حـد الدعـوات الفارغـة, بـل تجـاوزه الى ابرام الشـبهات, فتوجهـوا الى فتـح ابـواب مـن داخـل الـتراث الاسـلامي تدعـم آرائهـم, إذ وظفـوا لذلـك علـوم القـرآن نفسـها لإثبـات صحـة مدّعاهـم, فعـدّو الجهـد المبـذول في نشـأة تلـك العلـوم دليـلًا عـلى تاريخيّـة النـص القـرآني :((ونشـأة لذلـك علـوم بأكملهـا هـي علـوم القـرآن لبيـان تأريخيّـة النّصـوص نشـأةُ وتطـورًا, الجمـع, والترتيـب مكانًـا وزمانًـا, النـزول والنسـخ تطـورًا ونظامـا المـكي والمـدني الـخ ...., بـل أنّ الإسـلام ذاتـه يجمـع بـين هـذه النّصـوص المفرقـة عـلى مـدى ثـلاث وعشريـن عامًـا فيـما عُـرف بإسـم التنجيـم, انّمـا هـو حلقـة خاصّـة في تطـور الوحـي العـام منـذ آدم إلى محمـد)) ([١٥] .ص. ٧٣),إلا أنّ هـذه المصـادرة بـأدنى تدقيـق تكشـف عـن ممارسـة انتقائيّـة لفهـم النـص, ترجـع الى ميـول ايديولوجيّـة, اذ أن عمليّـة الاسـتدعاء للـتراث عمليّـة موجهـة بدقـة نحـو اهـداف مسـبقة تتناسـب مـع أفكارهـم .

الباب الأوَّل : تعليل اسباب النزول

تشـير الأبحـاث الحداثيّـة إلى أن التوافـق بـين الواقـع الـذي كان يتطلـب برامـج علاجيـة ونـزول النـص القـرآني للقيـام بهـذا الـدور يمكـن أن يُعـدُّ دليـلاً عـلى تاريخيـة النـص كـما يـراه «سـيد القمنـي» وغيرهـم مـن المفكريـن المعاصريـن. فـإن مجيـئ الآيـات القرآنيّـة بشـكل متفـرق وعـلى مراحـل زمنيـة مختلفـة، كل منهـا مرتبـط بمناسـبات متنوعـة تختلـف في مواضيعهـا. وقـد نُزلـت مجموعـات مـن الآيـات تتعلـق بموضـوع معـين، مـما يسـتدعي وجـود صلـة بـين تلـك الآيـات والخصوصيّـة المرتبطـة بالموضـوع المعالـج([١٦] .ص. ١٨٨), وبمجـرد متابعـة كلمـة [قُـل] في القـرآن الكريـم تنكشـف زمكانيّـة الآيـات, حيـث يمكن اسـتنتاج سـؤال كان قـد طرحـه المسـلمون بشـأن موضـوع معـين، وكان شـغلهم الشـاغل هـو معرفـة حقيقتـه. اضـف إلى ذلـك التفاصيـل التـي ذُكـرت في القـرآن عـن حـروب النبـي ﷺ وغزواتـه، فإنهـا كانـت ذات صلـة بموضـوع يكشـف عنـه سـبب النـزول, حتـى أصبحـت هـذه الأسـباب تعـبر عـن واقـع تاريخـي

يخضع له النص([١٧] .ص. ٦٩), بمعنى أنه لو لم يكن هناك سؤال أو إذا لم تكن هناك حروب لما نزل شيء عنها!

ولمّا كان تلك الاسباب علّة للتشريع, انتهى بعض الباحثين المعاصرين الى إنَّها تصف علاقة عموم وخصوص بين السبب والنازل وهذا يربط السبب بتاريخه حتمًا ([١٨] .ص. ١٠٥), فقد جعل من علّة البيان ورود السبب, وهذا يجعل من البيان تأريخيّ مرتبط بالواقعة .

يبدو أنَّ بعض رواد الدراسات القرآنية المعاصرة يقابل المقولة المشهورة بين الاصوليين والمفسرين : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. اذ يقول: ((أنّ العبرة ليست بخصوص السبب ولا بعموم اللفظ معًا, بل في ما وراء السبب الخاصّ واللفظ المستعمل له يتعين البحث عن الغاية والقصد . وفي هذا البحث مجال لإختلاف التأويل بحسب احتياجات الناس واختلاف بيئاتهم وأزمنتهم وثقافاتهم وما إلى ذلك, وفيه كذلك مجال للتطوّر متى ما آمن المرء بأنّهُ معنِيٌّ الآن)) ([١٩] .ص. ٨٠),ويرجع ذلك الى اعتقاده بأنَّ هذه المقولة محاولة لتخليص النصوص من الخضوع للواقع مع أن أثر الواقع يظهر بشكل واضح في النص, بدليل أن لأسباب النزول فوائد تتعلق بفاعليّة جريان مقولات النص مع طول عمود الزمن([٢٠] .ص. ٢٠), وعلى اساس ذلك يظهر تذرعهم بهذه المقولة للقول بتأريخيّة النَّص القرآني, فهذا «ابو زيد» يعدُّ علم اسباب النزول حقيقة تاريخيّة قادرة أن تعكس الواقع بالنص, عندما يشير الى كميّة الآيات ذات سبب نزول, حيث يقول: ((إنّ الحقائق الامبريقية, المعطاة عن النَّص تؤكد أنّهُ نزل منجمًا على بضع وعشرين سنة, وتؤكد ايضًا أنّ كل آية أو مجموعة من الآيات نزلت عند سبب خاص استوجب انزالها, وأنّ الآيات التي نزلت ابتداءً – أي دون علّة خارجية- قليلة جدا. وقد ادرك علماء القرآن أنّ السبب أو المناسبة المعينة هي التي تحدّد الإطار الواقعي الذي يمكن فهم الآية من خلاله)) ([٢١] .ص. ٩٧), ثم يبني على اساس ذلك استنتاج مفاده امكانيّة كشف اسباب النزول من داخل النَّص, يقول: ((أنّ اسباب النزول ليست سوى السياق الاجتماعي للنصوص, وهذه الاسباب كما يمكن الوصول اليها من خارج النَّص يمكن كذلك الوصول اليها من داخل النَّص, سواء في بنيته الخاصة ام في علاقته بالأجزاء الأُخرى من النَّص العام, وكانت معضلة العلماء انهم لم يجدوا وسيلة للوصول إلى اسباب النزول إلا الاستناد إلى الواقع الخارجي والترجيح بين المرويات, ولم يتنبهوا إلى أنّ في النَّص دائمًا دوال يمكن أنّ يكشف تحليلها عن ما هو خارج النَّص, ومن ثم يمكن اكتشاف اسباب النزول)) ([٢٢] .ص. ١١١),والكشف من هذا النوع يستدعيه تعارض روايات اسباب النزول

اذا ما لاحظنا امكان النسيان للبشر مع الفاصل الزمني بين عصر الصحابة ومن جاء بعدهم, كما أن الصحابة لم يقفوا على جميع اسباب نزول الآيات وإن عاشوا عصر التنزيل, ليقرّر «ابو زيد» أنَّ الروايات لا تفيدُ علمًا قطعيًا؛ لأنّ ما يرويه الصحابي قد يكون تطبيقه لحكم النص في حادثة تشابه ما نزل فيه النَّص قياسًا, ومن ثمَّ تكون رواياتهم تأويلات اقلُّ ما يقال فيها أنَّها ذات طابع ايديولوجي لاستنادها الى فهمهم للوقائع في لحظة الزمن, وهذا ما يعنيه «اركون» من أنّ النَّص القرآني إفتتحَ الدائرة الايديولوجيّة, والتعامل معه يكون على أساس الوقائع والاحداث لا على أساس مقاصد المتكلم وغاياته ([٢٣] .ص. ١٧), وعلى هذا الاساس يظهر ان تلك الروايات كانت ايديولوجية بإمتياز؛ لأنَّها تعبّر عن فكر ينتمي لواقع الحادثة بوصفها تأويلات, ومن ثمَّ فإنَّها تكشف عن تاريخية النصوص في القراءات المعاصرة .

يتّضح مما تقدّم أنّ هؤلاء وسَّعوا دائرة الواقعة الجزئيّة, إلى دائرة التأثير الاجتماعي, واصبحت تلك الأسباب تُشكّل «أُفقُ النّص» لأنَّها مرتبطة بـ ((سياقات عامة مثل السياق الثقافيّ الاجتماعيّ, والسياق الخارجي(سياق التخاطب) , والسياق الداخلي(علاقات الاجزاء) والسياق اللغويّ(تركيب الجمل) واخيرًا القراءة أو سياق التأويل)) ([٢٤] .ص. ٩٦), ولذا فإنَّ دواعي نزول النَّص تتعلق بحركة الخطاب في جوٍّ ثقافيّ معين, وهذا يدل على أنّ تموضع الحقائق الواقعيّة في القرآن الكريم, لم يكن ورائها اغراض تواصليّة إلهيّ/ بشريّ, بصيغة حوارات تفهيميّة, بل تعني أنّ الوقائع الجزئيّة مثلت قوة جذب للنص .

الباب الثاني : سلطة الواقع على النص

تُبنى القراءة المعاصرة للنص القرآني على مسلّمة ترتكز الى مرجعيّة الواقع والذي يظهر أثره التأريخيّ في فهم النَّص, إذ تبدو سلطة الواقع على النص جليّة, في مثل هذه الدراسات, فلمّا كان النَّص القرآني مرتبطًا بالحياة يتعاهدها دومًا بالمعالجة لمشكلات الانسان, فإنَّ تلك المشكلات كانت مبررًا لإنزال نَّص يؤثر في مجريات الاحداث, وفي المقابل فإنَّ الاخيرة فرضت نفسها على النَّص وغيّرت مقولاته لصالحها([٢٥] .ص. ٦٧٨), وتحيل هذه الدراسات في تأكيدها على تأثر النَّص الى قضيّة تقاطع معاني نصوص الوحي وأفهوماته.

يرى بعض المفكرين المعاصرين, أنَّ القارئ التقليدي للنَّص القرآني قد اوجد استراتيجية خاصَّة للتخلص من التعارضات الحقيقيّة, فمثلًا في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء:٤], يتقاطع المعنى ظاهريًا فيه

مع قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة:٩٠],إذ إنَّ النَّص الاول قد يُفهم منه جواز شرب الخمر ولكن النَّص الثاني صريح في تحريم الفعل, وهذا يضع القارئ التقليدي اما عتبة اشكاليّة حُكميّة, فما العمل ؟

ترى بعض الدراسات القرآنيّة المعاصرة أنَّ القراءة التقليديّة قد أوجدت آلية «النسخ» بناءً على استراتيجيّة تقبل امكان التدرّج في التشريع عن طريق التمييّز بين النص المتقدم والمتأخر بحسب زعم «ابو زيد» ساعد في حلّ التعارضات الظاهريّة في نصوص الوحي, لعدم تمانع أنّ يُنسخ حكم متقدم بآخر متأخر عنه زمانًا لنفس القضيّة ([٢٦] .ص. ٢٠٨),فالقارئ التقليدي في الفكر الموروث إذا ما تعرّض لمثل هذه التعارضات الحقيقية في النص القرآني لجأ الى النسخ كآلية لحلّها لأنَّ ((النسخ ضرورة لا يصار اليها إلا إذا اقتضاها التعارض الحقيقي دفعًا للتناقض في تشريع الحكم العليم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)) ([٢٧] .ص. ١٣٩), فالنسخ اذا ما كان: ((رفع أمر ثابت في الشريعة المقدسة بارتفاع أمده وزمانه)) ([٢٨] .ص. ٢٧٧), فإنَّه ليس رفعًا ماديًا للنَّص, وإنَّما رفعٌ لمضمونه لإرتفاع المصلحة فيه ([٢٩] .ص. ١٢٢),بوصفه الآليّة لتحقيق استراتيجيّة النص المتقدم والمتأخر, كحلٍّ إجرائي لتقاطع المعاني الظاهريّة, وهذا ما جعل بعض المعاصرين يتمسّك بهذه الآليّة الاجرائيّة للقول بتاريخيّة القرآن الكريم, ومن ثمَّ بتأريخيّة احكامه, ففي الوقت الذي يهتم فيه التفكير التقليدي بإيجاد اجراءات لحلّ التناقضات في النص, فإنَّ الدراسات القرآنيّة المعاصرة لا يستهويها هذا النوع من الاهتمام بقدر ما تريد التأكيد على طبيعة الخطاب الديناميكيّة, وهذا ما يعكس عند»نصر حامد» وعيًا محدودًا فإنّ قضيّة تعارض النّصوص ظلّت غائبة عن وعيّ ذلك الفكر في أن:((تكون جزءًا من بنية الخطاب. لقد مثّلَ لهم ذلك التناقض مشكلة لابدَّ من سبيل لحلها. لم يكن في وسعهم أنّ يسلّموا بأن ظاهرة اختلاف الأحكام وتعددها لا تُمثّل تناقضًا بقدر ما تُمثّل افقًا مفتوحًا امام الجماعة- المجتمع- للإختيار الانسب للظروف والسياق المتغيرين)) ([٣٠] .ص. ٢٠٩), وعلى هذا الاساس فإنَّ قضيّة تناقض المعاني في هذه الدراسات ليست اكثر من تغيّر في اتجاه الرؤيّة لمسرح الاحداث, ولابد من الاحاطة برؤيّة شموليّة يتبيّن معها فصلٌ بين السياقات التأريخيّة للنَّص, ومن ثمَّ فإنَّ سلطة الواقع على النص تتأتى من تبعيّة النَّص للواقع, وهذا ما يُعبّر عنه «اركون» بالعلاقة بين الوحي والحقيقة والواقع ([٣١] .ص. ١٥٢),بمعنى أنَّ سلطة الواقع

على النَّص لا لتثبيته وحسب, وإنّما لفهم حقيقة الواقع وتغيراته التاريخيّة .

الباب الثالث: آثار التغيّر الاجتماعي

تثير بعض الدراسات المعاصرة قضية تباين اسلوب النص القرآني في الحكم على الوقائع وترجع ذلك الى تطور مقبوليّة النص لدى المتلقين, وتمثل لذلك بإختلاف اسلوب الآيات التي نزلت في فترات ضعف المسلمين أبان انطلاق الدعوة وقلة عددهم فقد غلب على النصوص التي نزلت في هذه الفترة الزمنيّة طابع اللين والسلم, عن تلك التي نزلت بعد ان انتشر الاسلام بين القبائل وقويّت شأوتهم في المنطقة حتى اصبح الاسلام يخاطب الامبراطوريات الكبرى ويدعوها الى الايمان وهذا ما نجده في الآيات المدنيّة التي اتصفت بالصرامة وفرض قوانين للتعامل في المجتمع الداخلي والخارجي لدولة الاسلام, ويستدلون لذلك بتشريع حكم فرض الجزيّة على غير المسلمين في المنطقة, حيث تحول اسلوب الآيات المكيّة من الاهتمام بالأمور العقائدية, تحول في الآيات المدنيّة الى الاهتمام بفتح العالم والسيطرة على المنطقة ولذا اخذ يشرع قوانين تنظم علاقة المسلمين بغيرهم ([٣٢] .ص. ٢٤٨), وهنالك من رأى ان اهتمامات النص على العكس تمامًا([٣٣] .ص. ٣٨٧), وأيًا كان فإن كلاهما يوكدان على انعكاس المصلحة في اسلوب النص القرآني, بمعنى ان اسلوب النص كان مرتبط طرديًا مع البعد الامبريقي للظاهرة, وبذلك يكون الواقع ببعده المادي هو من يصنع النص , والنص والحال هذه تأريخي لا محال .

إلا أنَّ توجّه هذه الدراسات في اثبات التأريخيّة للنص القرآني اختلف بين من ركز على البعد الثقافي لمتلقي النص حيث يقول «ابو زيد» :((لا يمكن أنّ نتحدث عن لغة مفارقة للثقافة والواقع, ولا يمكن من ثمَّ أنّ نتحدث عن نص مفارق للثقافة والواقع ايضًا طالما أنّهُ نصٌ داخل إطار النظام اللغوي للثقافة)) ([٣٤] .ص. ٢٤), وبين من ركز على البعد الاقليمي للمتلقي([٣٥] .ص. ٥٢),ومن هنا كان لعلم المكي والمدني اهتمامًا كبيرًا في الدراسات المعاصرة بوصفه دليلًا على تأريخيّة النَّص .

إنَّ القول بالأسلوب المتباين في النص بناءً على القبول بثنائيّة النص (متقدم, متأخر) حتَّم على العلماء صياغة نظريَّات عدة في تحديد المكي والمدني, اشتهرت منها تلك التي جعلت من البعد الزمني عاملًا اساسيًا في التمييز بمعنى أنّ الفاصل هو[لحظة التاريخ] وقد حُددت بهجرة النبي ﷺ إلى المدينة, فالمكي ما نزل قبلها, والمدنيّ ما نزل بعدها([٣٦] .ص. ١٢), وإنَّ تبني الحداثيين لهذه النظرية القائمة على اساس التمييز بين مرحلتين مفصليتين في نزول النَّص القرآني يتناسب مع مدّعاهم بتأريخيّة النَّص القرآني اذ يرى بعضهم أنَّ :((المعيار يجب أنّ يستند إلى الواقع من

جهة وإلى النَّص من جهة اخرى, إلى الواقع من حيث أنّ حركة النَّص في الواقع تنطبع آثارها في جانبي النَّص, فلابدَّ أنّ ندرك أنّ حدث(الهجرة) لم يكن مجرّد انتقال في المكان, واذا كانت مرحلة الدعوة في مكّة لم تكد تتجاوز حدود الانذار إلى حدود الرسالة إلا قليلًا, فإنَّ النقلة إلى المدينة حوّلت الوحي إلى رسالة, والفارق أنّ الإنذار يرتبط بمصارعة المفاهيم القديمة على مستوى الفكر والدعوة إلى المفاهيم الجديدة فهو بمثابة تحريك للوعي لإدراك فساد الواقع والنهوض من ثمَّ إلى تغييّره, والرسالة تعني بناء ايديولوجيا المجتمع الجديد)) ([٣٧] .ص. ٧٧)

فهذه الدراسات المعاصرة ترى أنّ التحوّل في بنية النص واسلوبه حدث تدريجيًا, بناءً على استمرارية تفاعل النص مع الواقع, فالنص يعدّل دلالة لغته لتنسجم مع معطيات كل مرحلة فإنَّ قوام كل مرحلة هو حال المتلقي, ومن ثم فإنَّ علاقة المتلقي بالنص تصبح علاقة جدليّة تحدد طبيعتها الظروف الموضوعيّة للاحداث, واذا كانت هذه المحددات زمانيّة, فإنَّ تأريخيّة النص القرآني تعني ربطه ببيئته في لحظة من الزمن, بمعنى وصل النص القرآني بنظامٍ ونسقٍ ثقافيّن, الامر الذي يُشرعن لدعوى تحديث الدين من خلال قراءة النص القرآني قراءة عصريّة تواكب المتغيرات الجديدة, بمعنى تعصير النَّص وفق متغيرات اجتماعيّة, لتصبح الاخيرة حاكمة على دلالة النَّص .

المبحث الثاني : منطلق تأريخيّة النص القرآني في الفكر المعاصر (نقد وتقويم)

لعلَّ تقديم نقد مبنائي للفكر المعاصر في رؤية النص القرآني واسقاط نتاجاته, قد لا يكون كفيلًا بالاجابة عن الاشكاليّة المعرفيّة لهذا الفكر, هذا من جانب ومن جانب آخر فإننا لا نريد أن نهدر الفائدة من الآليات الجديدة التي قُدمت لفهم النص في محاولة لمواكبة تطورات الاحداث, لذا فإننا سنحاول تقديم رؤية علاجيّة ترتبط بفهم النص الديني وتجسّر بين التطوّر الحاصل في الفكر المعاصر والتراث الاسلامي .

المطلب الاول: نقد التأسيس المعرفي في الدراسات الحداثيّة

تحاول بعض الدراسات التأسيس لـ (انسنة النص) وإلغاء جوانبه الميتافيزيقيّة, ومن ثم نزع قداسته, من خلال التعامل معه وفق مشروطيّة الزمان والمكان ([٣٨] .ص. ٣٣٢), ليتسنى لهذه الدراسات تغطيّة استعمال آليات جديدة في قراءة النص تتعارض معه في جوانب كثيرة .

فمن جهة تنظر هذه الدراسات الى اهميّة مصدريّة النص وتحاول ازالة جميع الخصوصيّات التي يكتسبها النص منها, ومن جهة اخرى فإن هذه الدراسات- اغلبها- لا تنكر اصل الجهة ولكن اصحابها لا يسلمون بقيمة علميّة لها في قراءة النص, بل على العكس فإن

قراءتـه باسـتصحاب قدسـيته المتولّـدة عـن مصدريّتـه يصيبـه ببعـد دوغـمائي يجعـل مـن فهـم النـص بأيـدي اشـخاص معينـين دون غيرهـم, ومـن ثـم تصبـح الحقيقـة حكـرًا عـلى هـؤلاء, وبعـض اصحـاب هـذه الدراسـات القرآنيّـة المعـاصرة يعـدّوه مصـادرة للنـص ومصـادرة لوجودهـم ايضًـا؛ ذلـك ان النـص يخاطـب الجميـع مـن دون تفضيـل بينهـم لقولـه تعـالى:﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [ص: ٨٧,٨٨], ولكـن هـذه الرؤيـة في أنسـنة النـص القـرآني نابعـة مـن نرجسـيّة الانسـان اتجـاه نفسـه ذلـك أنَّ : ((مـا تتأسـس عليـه وتحجبـه الانسـنة بمـا هـي دفـاع عـن القيـم الإنسـانية, هـو أنّ الإنسـان أحـقُّ بالوجـود واعـلى قيمـة مـن بقيـة الكائنـات, الامـر الـذي يجعلـه يتعامـل مـع نفسـه بوصفـه مالـك الملـك الـذي يتـصرف في ملكـه كـما يشـاء, هـذه الفكـرة هـي أسـاس الدمـار الـذي تشـهده الطبيعـة والمسـوغ الـذي يعطـي للإنسـان الحريّـة للإعتـداء عـلى الكائنـات)) ([٣٩] .ص. ٨٩), والمفارقـة أنَّ هـذا التأنيـس للنـص عنـد «السـيد القمنـي» يرجعـه الى اعتقـاده بسريـان حقائـق القـرآن الكريـم مـن الـذات المقدسـة الى النبـي –المتلقـي الاول- فالقـرآن وإنْ كان يمتلـك صفـة الألوهيّـة إلا أنَّ تلقـي النبـي الاكـرم لـه حوّلـه الى صفـة انسـانيّة؛ لانَّ النبـي تلقـاه بصفتـه انسـانًا, وتبعًـا لذلـك اصبـح فهمـه متغـيّر ومـن الطبيعـي ان تختلـف افهـام النـاس نحـوه([٤٠] .ص. ٢٧١), هـذه الرؤيّـة تفـترض تصحيحًـا قـد اجـريّ عـلى القـرآن في مرحلـة مـا, فبعـد ان كانـت جميـع معانيـه الهيّـة تحولـت واصبحـت انسـانيّة عندمـا وعتـه عقـول البـشر أُفرغـت فيـه معـاني تنسـجم مـع ظـرف المتلقـي ليتمكـن مـن فهمـه فيكـون خطابًـا لـه, وهنـا نتسـأل اذا كان تحـوّل صفة القـرآن بفعـل قرائتـه مـن قبـل البـشر هـل يعنـي هـذا انسـانيته ؟ لتحكـم مثـل هـذه الدراسـات بنسـبيّة مقولاتـه .

وعـلى فـرض صحـة هـذا المدعـى, وهـو -غـير صحيـح - فـإن التأنيـس يكـون بفعـل المتلقـي في عمليّـة تأويـل للنـص ليتناسـب مـع حاجاتـه؛ لا الى تأنسـنه ذاتًـا ووصفًـا, ولعـلَّ هـذا مـا يُفهـم منـه في قولـه تعـالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ﴾ [المائـدة :١٣] فـإن الآيـة اشـارة بشـكل واضـح الى اسـتمرار وقـوع فعـل التحريـف بدلالـة المضارعـة, والى قصديّـة الفاعـل في التحريـف, وذلـك مـا يُلمـس مـن التضعيـف في (يُحرِّفُـونَ) فزيـادة المبنـى افـادة زيـادة حصـول الفعـل وتقويـة حصولـه تفيـد تقويـة الرجـاء في حصولـه([٤١] .ص. ١١) بمعنـى كـثرة وقـوع التحريـف منهـم لا يتـم عـن غـير قصـد؛ لأنَّ هـذه الزيـادة تؤسـس لنمـو المعنـى عنـد المخاطـب, فلابـد ان يكـون الفاعـل في التحريـف قاصـدًا لـه في كل مـرة يقـوم فيهـا بالفعـل . فعمليـة التحريـف تقـع عـن قصـد مـن الانسـان

بالتأويل, ولو كانت مداليل النص غير مستقرة من اساسٍ كما يراها بعض المعاصرين, لكانت نسبة التحريف إليهم ظلمٌ؛ ولوقعت هذه الآية لغوًا في الذكر الحكيم والعياذ بالله !, ولو فُرض لها معنى لما كان مذمومًا بلحاظ أنَّهُ عملٌ إنسانيّ, والله هو من جعل كتابه قابلًا للتغيّر, فلماذا يشجب فعل هؤلاء وهو نابع من طبيعتهم الإنسانيّة ؟ .

كما أنَّ القرآن الكريم لو كان على مستوى دلالة الالفاظ سيّالًا متسعًا لجميع الاجتهادات التي تتناسب وحاجات البشر, فما الداعي من نزوله منجمًا على مدة طويلة من الزمن, كان يمكنه أن يُنزله دفعة واحدة ما دامت الأفهام ستحوّله الى بشريتها ؟ .

الأساس الذي يسعى إلى عقلنة النص يجعل من حقائق النص أمورًا نسبية, فبينما يظل النص القرآني ثابتًا، فإن فهم الإنسان له يتسم بالتغير النسبي، لأن الثبات هو من خصائص المطلق المقدس، بينما الإنسان متغير نسبيًا، وجوده مادي يتأثر بالزمان والمكان وبالتالي إذا كان النص يعتمد وفقًا للنظرية البنيويَّة أو التفكيكيَّة على مركزيَّة المتلقي في إنتاج دلالة النص، فإنه يبقى نسبيًا في بيانه, وحيث أنَّ النص يعبر عن الحقيقة، فإن هذه الحقيقة تكون أيضًا نسبية, ويرجع ذلك إلى أن النص معبرٌ عنه بلغة نسبيَّة، غير قادرة على تقديم الحقيقة كما هي، بمعنى أن اللغة تعمل كمرآة تعكس رؤى متعددة لخصوصيات من يتفاعل معها، سواء كان قارئًا أو كاتبًا، فهي ليست أمينة في نقل الحقيقة, وعلى اساس من ذلك ذهب بعض فلاسفة الغرب إلى القول بعدم احتواء النصوص- مطلقًا- على أي حقائق، بل إن ما يوجد هو تأويلات فقط([٤٢] .ص. ١٧) .

إنّ ما تم ذكره سابقًا حول الإطلاق في مفهوم النسبيّة ينطوي على افتراضات كبيرة، إذ يتم الانتقال من الثبات إلى التغير استنادًا إلى فكرة نسبيّة حالة الإنسان, لكن المقصود هنا ليس التغير المادي الذي يتعرّض له الإنسان نتيجة للزمان والمكان، بل يتعلق الأمر بمدركاته, نجد أن العديد من مدركات الإنسان ليست نسبيّة في جوهرها، مثل إدراكه للمسائل الرياضيّة، التي تبقى ثابتة ولا تتغير بين الأفراد، كما هو الحال في إدراك جمع الرقمين اثنين, بالإضافة إلى ذلك، فإن أحكام العقل ليست نسبيّة بشكل مطلق، بل نجد أن بعضها مطلق، مثل إدراك كل إنسان لعدم إمكانية اجتماع النقيضين وارتفاعهما، واستحالة الدور والتسلسل، وتفوق الكل على الجزء، وخطأ الترجيح بلا مرجح، وغيرها من المفاهيم التي يتفق العقل البشري على إدراكها, كما أن المستقلات العقلية تبقى ضمن هذه الحدود عند العاقل مثل؛ استقلال العقل في إدراك

قبح الظلم وحسن العدل، وما يذكره القرآن الكريم من قيمٍ إنسانية في قوله تعالى: ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[المائدة:٨], إنَّ قيمة العدل تظل ثابتة كقيمة إنسانية، بغض النظر عن تغير الزمان والمكان، ولا تتغير من عقل إلى آخر, إلا أن ما يتفاوت هو تحديد مصاديق هذه القيمة, بالإضافة إلى ذلك فإن مدركات العقل البشري تتشابه في القضايا العلمية القطعية مثل جاذبية الأرض وغيرها, فلا يمكن عدُّ مقولة نسبية إدراكات الإنسان صحيحة، إذ إنها تتعارض مع مفهوم التغير الذي ينشأ من طبيعة المادة الزائلة، وتربطه بمفهوم التغير في الروح الإنسانية, بالإضافة إلى ذلك فإن ما ذُكر سابقًا يتناقض مع نفسه، حيث يُطرح تساؤل حول كيفية إدراك أن المطلق المقدس لا يتغير. فالمطلق المقدس هو أيضًا مفهوم إنساني تم استيعابه من قبل العقل البشري، وإذا كان التغير يؤثر على جميع مدركات العقل، لكان من الممكن أن يشمل هذا المفهوم أيضًا.

تميل هذه المنطلقات إلى جعل القارئ (المتلقي) هو الحاكم على معاني النص، وهذا بدوره يجعل من تأويلاته هي الأساس في الكلام وهدفه، بمعنى تحميل النص ما لم يقله المؤلف، وقد يتعارض ذلك مع أفكاره الأصلية, وهذا الأمر يجعل تراكيب النص وجمله تفتقر إلى المعنى, فإذا كانت تراكيب النص بلا دلالة، وكان المتلقي هو من يحدد معناها، فإن هدف النص يصبح هو هدف المتلقي، فأينَ ذلك من الآية الكريمة :﴿تَنَزَّلُ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦﴾[الحاقة :٤٤- ٤٦]

إذا كان القارئ هو من يخلق المعنى في النص، فإن النص يصبح خاليًا من الغرض والهدف، وهذا يمثل جوهر الفلسفة العدميّة ([٤٣] .ص. ٣١٠)،حيث تكون الأشياء بلا أهداف أو مقاصد, هنا يطرح تساؤل: إذا كان هذا صحيحًا، كيف يمكننا قراءة إنتاج القارئ من النص؟ هل نقرأه وفقًا لأفق فهم القارئ، أم وفقًا لفهمنا الخاص؟ وفقًا لنظرية إنتاج النص، ينبغي أن نقرأ إنتاج المتلقي بناءً على فهمنا كمتلقين جدد، مما يؤدي إلى نشوء فهم جديد آخر للنص الأصلي، وهكذا تتوالى القراءات بلا نهاية. وبالتالي، يصبح النص الأصلي بلا غاية أو هدف، بل قد يبدو وجوده عبثيًا.

إن الاعتماد على مثل هذه الأفكار يجعل من قصد المتكلم مجرّد وهم، لأنها تفتقر إلى معايير تحديد منطقيّة، مما يؤدي إلى إدخال القراءات في صراعات لا حصر لها, مع تغير المتلقي، تظهر تأويلات متعددة، ينتج عنها صدامات في القراءة بسبب عدم إدراك المقصد الرئيسي, في هذه الحالة تفقد القراءة

قيمتها إذا كانت منفصلة عن مرجعية المتلقي, ويتحول سؤال الإنسان عن الحقيقة في علاقته مع النص، من «ماذا يريد مني النص؟» إلى «ماذا أريد من النص؟»، مما يمنح القارئ سلطة على النص، فيقوم بتفسيره وفقًا لرغباته، الامر الذي يظهر معه إغترار بالعقل البشري([٤٤] .ص. ١٩٨)وبالفعل هذا ما ينتهي اليه البعض عندما يقول: ((ولمّا اكتمل الوحي فإنَّ العقل هو التطوّر الطبيعي لمنهج العقل اذًا هو الاستمرار الطبيعي للنبوة والتطوّر الطبيعي لها)) ([٤٥] .ص. ٣٧٦-٣٨١), ويؤكد ذلك «علي حرب» بقوله: ((بعد انتهاء زمن النبوة وانقطاع الوحي الموحى؛ يعود الامر إلى العقل لكي ينهض بدوره يمارس نشاط ويبدع ابداعه, فيبحث ويعلّل, ويحلّل وينظر, ويجادل ويدافع, ويبّت ويفصل)) ([٤٦] .ص. ٧٣), تناول الشيخ «مطهري» هذا الاتجاه في تقدير العقل من خلال نقد يشير إلى أنه إذا كان من الممكن اعتبار النبوة مرحلة في تاريخ البشرية، فلا داعي لتفسير الوحي الذي أصبح بديلاً للعقل التجريبي, كما أن هذه الفلسفة تشير إلى انتهاء الدين وليس النبوة، مما يعني أن وظيفة الوحي القرآني هي الإعلان عن انتهاء دور الدين([٤٧] .ص. ٣١), إن الدراسات المتعلقة بالنص القرآني التي تعطي العقل مكانة النبوة تتسبب في تنافس بين العقل والنص، حيث من الواضح أن توسيع نطاق العقل يؤدي إلى تقليص مساحة النص, هذه الفكرة المتعلقة بالحضور والغياب تعكس الممارسة العملية التي يكشف عنها التأويل في الدراسات القرآنية الحديثة .

يتضح مما سبق أن التأويل في الدراسات القرآنية المعاصرة قد غمر دلالته في فهم سياق نزول النص، وارتدى ثوب التاريخية، حيث انطلقت هذه المقاربات من اعتمادها على السياق الخارجي. فلا يمكن تأويل نص دون مراجعة السياق الذي ظهر فيه، والذي يمثل فضاء النص بشكل كامل([٤٨] .ص. ١٤٢), ومن هنا جاء الحديث عن تاريخية النص القرآني؛ إذ لا بد للباحث من قبول تدخل الواقع الموضوعي في نزول النص، لأن القرآن هو هداية وإرشاد، مما يستدعي معالجة الأمور في وقتها ومع ذلك، لا ينبغي أن يُفهم من ذلك أن استدعاء واقع النزول هو السبيل الوحيد لفهم النص، لأن الواقع يساهم في تشكيل النص، وبالتالي فإن النتائج التي ترتبت في ذلك الوقت لا تتعلق بما يترتب على فهمه اليوم, بمعنى آخر يجب إلغاء أزلية مقولاته، والحكم بتأريخيته، مما يؤدي إلى نتيجتين: تاريخية الأحكام القرآنية المستخرجة من النص الديني، وتاريخية الإطارين الثقافي والمعرفي اللذين نزل فيهما الوحي([٤٩] .ص. ٢٤٥), لذا فإن القول بالتاريخية يعني أن النص القرآني نزل لتفسير المجتمع،

وليس لقيادة الحياة، وهذا ما يرفضه البحث، حيث إن النص لم يكن خاضعًا للواقع بشكل كامل ليكون الواقع سببًا في تشكيله، بل إن للبحث رؤيته الخاصة .

المطلب الثاني : ثبات المفهوم واستمرارية الانطباق

كان لدى النبي معرفة بالحقائق القرآنية قبل أن يُنزل عليه الوحي، مما يعني أنها كانت موجودة لديه بشكل استعدادي – بالقوة – وعندما نزل عليه الوحي بالنص، تحققت هذه الحقائق على أرض الواقع – بالفعل – وهذا يعني أنَّ النبوة ليست ظاهرة طبيعية تعتمد أسباب طبيعية وإنَّما : ((اسبابها خارجة عن النطاق الطبيعي, والحياة الماديّة والاجتماعيّة . أنّ الشعور بالوحي, وبلوغ مرتبة النبوة ليس امرًا اكتسابيًا يحصل بتأثير الظروف الخارجيّة والثقافيّة)) ([٥٠] .ص. ١٤٩),إنَّ ما يُقدّمه النبي- النص- هو تعبير واضح عن نبوته التي تتجاوز الحدود الطبيعية, فبالرغم من أنَّ القرآن الكريم هو معجزة النبي الأكرم ﷺ لا تنفصل عن العوامل الطبيعية، إلا أنَّه في ذات الوقت لا يتأثر بها, حيث أنّ:((نزول الوحي غير منفصل عن العلّل الطبيعية من نفس النبي, والمجتمع والعصر والعلوم السائدة وسائر الحاجات الاخرى, إلا أنّهُ ليس من قبيل نزول المطر . فالعلل الطبيعية تعود إلى المعدات .فإنَّ بين نزول المطر ونزول الوحي نفس الفوارق الموجودة بين الفعل والانفعال الحاصل في عالم الطبيعة والخوارق للعادة التي يقوم بها الله تعالى» استجابة لدعاء, أو لإثبات كرامة, أو تحقق معجزة وكلا الامرين يتحققان بإرادة الله ومشيئته ولكل منها اسبابه وعلله ولكن اين تلك العلل من هذه العلل, فالمعجزة يتم انتقاؤها من قبل الله تعالى لتلائم العصر, ولكنها في الوقت نفسه غير متأثرة به, وإلا كان ينبغي أنّ تنحصر في رسالتها على ذلك العصر فلا يبقى صوت الزمان يرددها على مدى الدهور)) ([٥١] .ص. ١٩٦),فلا يوجد مبرر لتقييد شروط النص بالطبيعة، إذ لو كان النص يعتمد على أسباب النزول، لكان من الضروري أن يدور ما هو خارج الزمان والمكان حول ما هو زماني .

من المهم أن نشير إلى أن أسباب النزول لا تشمل جميع آيات القرآن الكريم، فهناك العديد من الآيات التي لم يُعرف سبب نزولها، مثل تلك التي نزلت بشكل مباشر دون سؤال أو حادثة، كآيات الوعظ والإرشاد, وبالتالي فإنَّ هذا التعميم يعوزه المنهج العلمي الصحيح في قراءة النصوص وإصدار أحكام كليّة مما يُعد استقراءً ناقصًا بالنتيجة. علاوة على, ذلك فإنَّ ربط النصوص بأسباب النزول يعني بالضرورة أنّ النص يعتمد على العلّة من حيث وجودها وغيابها، وبالتالي فإن غياب العلّة يعني توقف وظيفة النص. وهذا قد يؤدي إلى فتح المجال

أمام أي شخص لتفسير الدين كما يشاء، مما قد يجعل الناس تأخذ أحكام دينها من عقول غير مؤهلة، وهو ما يرفضه البحث بشكل قاطع .

إنّ الربط بين النص وواقع نزوله, وجعله متأثراً بالواقع في تشكيله استناداً إلى أسباب النزول وغيرها من الأمور المرتبطة بالواقع؛ لا يُعدُّ دليلاً على تاريخية القرآن الكريم بالمعنى السابق [الواقع يخلق النص], فالأسباب التي أدت إلى نزول النص ليست هي السبب الرئيسي في نزوله، بل هي مناسبة للبيان, والعلاقة بين الواقع والنص يمكن ان تكون «علاقة توظيف»، وليست كما يصفها بعض الباحثين «بعلاقة انشداد» بينهما ([٥٢] . ص . ٤٩),مما يعني أن النص قد استثمر الحدث ببعده الفيزيقي، لتسهيل فهم الإنسان للحقائق. يرى البحث أن العلاقة بين النص والظروف التاريخية هي علاقة عرضيّة, وبالتالي يصبح الزمان والمكان مجرد إطار تتجلى فيه الحقائق الإلهية بشكل واضح. فالواقع لا يشكل النص، بل يوظفه كوسيلة لتحقيق اهدافه وغاياته, فالنص القرآني ليس مرتبطًا بالزمان ليصبح تاريخيًا، بل هو معني بالحديث عن الزمان. حيث إن البعد الفيزيقي لا يمكنه استيعاب مضمون الآيات بشكل كامل، كما يوضح الشيخ «معرفة» أنَّ: ((للآية وجهًا مرتبطًا بالحادثة الواقعة – التي استدعت نزولها – ووجهًا آخر عامًا تكون الآية بذلك دستورًا كليًا يجري عليه المسلمون ابديًا . كما أنّ الآية – بوجهها الخاص- عالجت مشكلة حاضرة . فإنّها سوف تعالج مشاكل الأُمّة على مرِّ الايام)) ([٥٣] .ص. ١١٢), لذلك، فإن أي دراسة كرونولوجية, لآيات القرآن الكريم تفتقر إلى أحد أهم عناصرها، وهو الموضوعية، ما لم تأخذ في الاعتبار ما تم ذكره سابقًا . استنادًا إلى هذا الأساس يمكننا أن نتقبل مفهوم التاريخية بطريقة أخرى، كما يراه البحث، حيث يحافظ على قيمة النص وقدسيته ويفتح أمامه آفاق الديمومة والاستمرارية . يمكننا القول إن بعض الآيات كانت تاريخيّة من جهة معينة، بينما لم تكن الأخرى كذلك, ويعتمد الفصل بينهما على تحديد ما إذا كانت الآية تتناول مفهومًا عامًا وشاملاً، أم أنها تشير إلى حدث معين يحدّد حكمها الآيات التي نزلت في سياقها بمعنى آخر، يجب قراءة النص مع مراعاة وحدة المفهوم واستمرار تكرر المصداق», ففي القرآن آيات تشير إلى مفهوم معين، وهذه الآيات ليست تاريخية من هذه الناحية؛ بل يستمر مفهومها يوم القيامة, وهناك آيات أخرى تناولت حادثة معينة تُعدُّ تاريخية من حيث حديثها عن تلك الواقعة، لكنَّها تهدف إلى مفهوم أعمق يمتد مع استمرار الحاجة البشرية إلى تلك المعرفة, وهذا النوع من الآيات تاريخياً من حيث المصداق وليس المضمون, وبناءً

على هذا المعنى يمكن فهم قول الإمام الصادق عليه السلام : ((نزل القرآن بإياك اعني واسمعي يا جارة)) ([٥٤] .ص. ١١٩), فالقرآن الكريم رغم أنه يخاطب المجتمع الذي نزل فيه وفقًا للسياق الزمني، إلا أنه لا يقتصر فقط على هذا السياق ليُعدُّ تاريخيًا, بل إن الطابع التاريخي ينطبق على المصداق الذي حدده النص، وليس على المفهوم ذاته, وقد أشار بعض المفسرين المعاصرين إلى هذا الأمر من خلال ما يُعرف بنظرية وحدة المفهوم وتعدد المصداق([٥٥] .ص. ٧١- ٨٢),هذه النظريّة أسّست لها روايات اهل البيت عليهم السلام فقد ورد عن الامام الباقر عليه السلام في خصوص ديمومة القرآن:((منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعدُ, يجري كما يجري الشمس والقمر, كلما جاء منه شيء وقع الحديث)) ([٥٦] .ص. ١٠),وقد عدَّ السيد الطباطبائي هذه النظرية قاعدة لفهم النصوص القرآنيّة لأنَّ؛ الآيات التي تتعلق بتوضيح مفهوم معين ليست محصورة فقط في الأمثلة المذكورة فيها، بل إن مصاديقها تتطور مع مرور الزمن حيث يقول عن القرآن: ((يجري كما يجري الشمس والقمر يجري فيهما معا, فينطبق في التنزيل على الجري الذي اصطلح عليه الاخبار في انطباق الكلام بمعناه على المصداق كإنطباق قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة /١١٩], على كل طائفة من المؤمنين الموجودين في الاعصار المتأخرة عن زمان نزول الآية, وهذا نوع من الإنطباق, وكأنطباق آيات الجهاد على جهاد النفس)) ([٥٧] .ص. ٨٤), كما يؤكد «جوادي آملي» على أنَّ تحديد دلالة آية ما, لا يغلق دائرة مداليلها, يقول: ((هذا الكتاب جارٍ في ماضيه كما هو في حاضره, وينطبق على السابق واللاحق كما ينطبق على الحال , والأحكام والصفات التي يذكرها القرآن لنفسه اوسع من حدود الزمان, وقد عبّر القرآن الكريم عن هذه الصفة بـ (الجري), والكثير من الروايات التي ذكرت في التفاسير الروائية مثل «نور الثقلين» و«البرهان» ووصفت بأنها «روايات تفسيرية» ليست هي بصدد تفسير الآية, لأن التفسير هو بمعنى بيان معاني الألفاظ والجمل القرآنية,وأكثر تلك الاحاديث ليست من هذا القبيل, بل هي بصدد تطبيق الآية على بعض المصاديق, وفي مواضع كثيرة هي لغرض التطبيق على أبرز مصاديقها ... وبناءً على هذا فإنَّ هذه الروايات على فرض صحّتها وكون سندها وجهة صدورها تامّين, فإنّها لا تحدد ابدأ سعة وشمول وعموم معنى الآية, وذكر مصداق لها أو المصداق الكامل لا ينفي المصاديق الاخرى, ولا يقيد يد المفسّر في تطبيق الآية على باقي المصاديق, بل أنّ الآية لها معنى عام وهي لا تزال باقية على عمومها)) ([٥٨] .ص. ٢١٠) .

تُظهر هذه النظرية عدم صحّة القول بتاريخية النص القرآني، حيث ترتبط النصوص بالواقع، ويكون هذا الواقع بمثابة سياق لتطبيق مفهوم الآية, لا يُقصد بذلك إغلاق دائرة تطبيقها، بل تظل الآية قابلة للانطباق كلما وُجد المعادل الموضوعي للحدث الذي نزلت فيه, ويؤكد السيد «كمال الحيدري» أن انطباق مفهوم الآية على مصاديق جديدة يتم بشكل حقيقي، وليس مجرد مجاز في اللفظ. وهذا يعكس حيوية النص القرآني وفاعليته، ليكون حياً ومتجدداً في كل عصر بما يتضمنه ذلك العصر من احتياجات متنوعة, يقول : ((أنّ الحقيقة القرآنيّة التي تؤسسها المضامين القرآنيّة العالية والتي تؤكدها السنة الشريفة. استمرار دائرة الانطباق في كل عصر وزمان, وأنّ المصاديق اللاحقة لا تدخل من باب المجاز, وإنّما هي مصاديق حقيقيّة فعليّة)) ([٥٩] .ص. ٢٢٨), فهذه النظرية توسع من نطاق النص بدلاً من حصره في بوتقة زمكانيّة، مما يسمح له باستيعاب جميع المتطلبات الجديدة وما ينتج عن ذلك من أحداث مع مرور الزمن، هذه الأحداث تكون تجسيدًا للمفهوم, ويمكن توضيح هذه النظرية من خلال المثال القرآني .

مثال قرآني : يُبيّن القرآن الكريم مفهومًا أساسيًا في حياة البشر أو قاعدة عامة لا تتأثر بالزمان والمكان تكشف عن سبب استمرار وجود الإنسان على الأرض وهي لزوم حفظ الحقوق في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة:٢٥١] وكل آليات في هذا الاطار تمثل وسيلة لتحقيق هذا المفهوم, نحو قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩٠],إنَّ القتال قد أُسّسَ من أجل السعي وراء الحق ودفع الباطل، وهدفه النهائي هو تحقيق فائدة تتمثل في استقرار المجتمع البشري, فمع دفاع كل فرد عن حقوقه يتطلب الأمر في النهاية تحديد حقوق الأفراد والجماعات على مختلف الأصعدة وتجريم أيُّ اعتداءٍ, وعندما تُعرف الحقوق يتضح معنى الاعتداء ويتحدّد بتجاوز حقوق الآخرين.

لا يمكن تحقيق أي هدف عقلاني من استخدام هذه الوسيلة(القتال) إذا لم تعود بالنفع على الإنسان, لذا يجب أن يتضمن ذلك كل ما يسهم في تحقيق فائدتها ولا فائدة من الهزيمة، حيث تظل الحقوق مغيبة عن أصحابها, ومن ثمَّ يتعين تحقيق النصر ولتحقيق ذلك يجب توفير جميع المتطلبات اللازمة له بما في ذلك تسليح الجيش وتمويل الأفراد... الخ, وهذا ما يؤكده القرآن الكريم بقوله:﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ

وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾ "[الانفال:٦٠], لقد ارتبطت عملية الإعداد بظروف تاريخية تتعلق بمفهوم (القوة) فهي تاريخية بلحاظ الظرف لذلك الإعداد المحدد (رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ), ومع ذلك لتطبيق هذا المفهوم في الوقت الحاضر، يتطلب الأمر تغييرًا في مفهوم «الإعداد للقوة». فلا يمكن أن يستمر الإعداد بالشكل التاريخي الذي كان يعتمد على توفير مستلزمات القتال مثل السيوف والدروع والخيول، في ظل تطور وسائل الحرب. وبما أن الهدف هو تحقيق فائدة من القتال، فإنه من الضروري أن يتغير معنى القوة ليتناسب مع ما يحقق تلك الفائدة. بناءً على ذلك، يتغير مفهوم القوة ودعم الجيش، حيث يمكن أن يتمثل ذلك في تحشيد الجهود لإضعاف اقتصاد مجموعة معينة أو السيطرة على مواردها بهدف التصدي لشرورها واعتداءاتها. اليوم، تتجلى القوة في توفير تقنيات حديثة وأسلحة متطورة للمقاتلين، بالإضافة إلى أنظمة إلكترونية عسكرية، مما يعكس تطبيق المفهوم العام للقوة.

وفقًا لهذه النظرية يصبح الهدف من الخطاب هو محور البحث، ومن خلاله يتمكن المتلقي من الوصول إلى دلالة النص عبر فهم محتوى الآية, بناءً على ذلك يُستنتج معنى عام من الآية يتماشى مع تطورات الزمن فتنطبق على المعنى العام معادلات جديدة, عندها يصبح سبب النزول أحد تجليات المعنى العام, ويؤيد ذلك ما رويّ عن الامام الباقر عليه السلام : ((لو أنّ الآية نزلت في قوم ثمَّ مات اولئك القوم ماتت الآية لما بقيَّ من القرآن شيء, ولكن القرآن يجري اوله على آخره ما دامت السموات والارض, ولكل قوم آية هم فيها من خير أو شر)) ([٦٠] .ص. ٢٧), يتضح من ذلك أن الأهمية تكمن في إدراك القصد وليس في عموم اللفظ أو خصوصية السبب على الرغم من أن الأخيرة تُعدُّ عنصرًا أساسيًا في فهم النص، إلا أنَّهُ يمكن القول إنّ التركيز يجب أن يكون على استكشاف المعنى الحقيقي أو القصد, فالبحث يشير إلى أن فهم القصد يأتي في المرتبة الأولى مقارنةً بعموم اللفظ وخصوصية السبب دون أن يُلغي أحدهما الآخر, لذا فإنّ فهم القصد يُعدُّ أولوية, مما يجعل العمل بعموم اللفظ وخصوصية السبب أداة مهمة بيد المفسر.

إنَّ قراءة القرآن الكريم من منظور ثبات المفهوم واستمراريّة المصداق تُعدُّ عائقًا أمام محاولات تقييد القرآن الكريم بظروف الزمان والمكان, فهذه القراءة تعزّز من حضور الإسلام وهيمنته متجاوزةً مركزية الماضي والحاضر نحو

المستقبل، من خلال استشراف قيم الإسلام ومفاهيمه المطلقة ولا يتحقق ذلك إلا من خلال صلاحية نصّهُ الرئيس لخدمة جميع البشر في جميع العصور .

تستند هذه النظرية إلى التمييز بين المفاهيم المطلقة وتجلياتها التي تأخذ بعين الاعتبار السياق التاريخي, فإذا كانت الأصالة في الشطر الاول منها- وحدة المفهوم- تشير إلى القيم الثابتة، فإن الشطر الثاني يتيح مجالاً للإبداع الفكري البشري في التفريق بين الثابت والمتغير. هذان العنصران يشكلان أساساً لتحقيق وعي حضاري في الإسلام يتفاعل مع متطلبات المرحلة وضغوطات الواقع بما تُتيحه هذه المساحة من إمكانية التجديد, ذلك أنَّ التمسك بمصداق سبب النزول يُعدُّ تنكراً حتى للثوابت والقيم الأساسية التي تضمن قدسية الدين، وفي الوقت نفسه تمنحنا القدرة على الانفتاح على تغيرات الواقع مما يتيح للعقل البشري حريّة رصد الواقع وتحديد «المصداق». ومن هنا، يصبح التأويل المعاصر أداة عملية في تحديد تكامل رؤية تفاعل الخطاب الإسلامي في كل مرحلة .

نتائج البحث

١-تشكل هذه الدراسات تهديدًا حتميًا للفكر الإسلامي، لأنها تدعو لعلمنة الدين تحت ذريعة حق كل فرد في ممارسة الفهم, وبالرغم من أنها لا تنكر الدين، إلا أنها تأسره لرغباتها الفردية .

٢-ترى الدراسات الحداثية ان المناهج العصريّة قادرة على توليد دلالات للنص اكثر ديمومة بناءً على أن من حق العقل ان يمارس آلياته وحدوده على النص القرآني .

٣-ركزت هذه الدراسات على التعامل مع النص القرآني من منظور تاريخي واجتماعي مدعيًةً تحرير الفكر العربي من مرجعيات تقليدية ودينية ساهمت في جمود الفكر .

٤-انشغلت هذه الدراسات بتقويض الثقة بين المتلقي والنص المقدس من خلال اسقاط أفكار الحداثة المعاصرة مثل الإنسانية والعقلنة والتأريخ، والتي تقدم على أنها نتاج جهود إنسانية موضوعية، في حين أن نتائجها في الواقع تعكس رؤية غائية تعبر عن إعادة إنتاج عربية لمنتجات الفكر الغربي .

٥-يُثار في مثل هذه الدراسات قضية «تناقض المعاني» في النص، ويتم التعامل معها باستراتيجيات مثل التمييز بين النص المتقدم والمتأخر أو فهمها في سياقاتها التاريخية المتغيرة .

٦-هناك محاولات في الفكر المعاصر

لتقديم نقد مبنائي للنص القرآني، ومحاولة لمواكبة تطورات الآليات الجديدة في فهم النص الديني استنادًا إلى أسس تم بناؤها وفق رؤية أيديولوجية للدين بشكل عام.
٧-يُطرح مفهوم « وحدة المفهوم وتعدد المصداق» كمنظور لقراءة القرآن يتجاوز التقييد بظروف الزمان والمكان، ويركز على المعاني والقيم الأساسية الثابتة مع مراعاة السياق التاريخي وهذا يسمح بفهم أوسع وأكثر شمولية لآيات القرآن وتطبيقها على مختلف العصور.

مصادر البحث ومراجعه

-القرآن الكريم

١-ظ : مفتاح, الجيلاني, الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الاخيرة والقران الكريم- دراسة نقدية, دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع, ط/١, ٢٠٠٦م, دمشق .

٢-ظ: الطعّان, احمد ادريس, العلمانيون والقران الكريم تاريخية النَّص, دار ابن الجوزي للطباعة والنشر والتوزيع, ط/١, ١٤٢٨هـ الرياض

٣-اركون, محمد, الفكر الاسلامي- قراءة علمية, ترجمة: هاشم صالح, مركز الانماء القومي, ط/٢ , ١٩٩٦م, بيروت .

٤-ظ: اركون, محمد, القرآن من التفسير الموروث التي تحليل الخطاب الديني, ترجمة: هاشم صالح, دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع, ط١ / ٢٠٠١م , بيروت

٥-صليبا, جميل, المعجم الفلسفي, دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع, ط/١, ١٩٨٢م, بيروت .

٦-حرب, علي, نقد النَّص, المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع, ط/٤, ٢٠٠٥م, الدار البيضاء .

٧-ابو زيد, نصر حامد, إشكاليّات القراءة وآليات التأويل, المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع, ط/١, ٢٠١٤م, الدار البيضاء .

٨-الميثولوجيا(علم الاساطير) : وهي الحكايات التي تولد في المراحل الاولى للتاريخ ولم تكن صورها الخيالية إلا محاولات لتعميم وشرح الظواهر المختلفة للطبيعة والمجتمع. ظ: حسيبة, مصطفى, المعجم الفلسفي, دار اسامة للطباعة والنشر والتوزيع, ط/١, ٢٠٠٩م, الاردن

٩-يقول العروي: ما زلت مقتنعًا أنّ الامة العربية الأنَّ في حاجة إلى أنّ تتلمذ على الماركسيّة التأريخيّة. ظ: العروي, عبد الله, العرب والفكر التأريخيّ, المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع, ط/٥, ٢٠٠٦م, المغرب العربي. وقد تبنى هذا المفهوم الماركسي للتاريخية المادية كل من حسين مروة وطيب تيزيني .ظ: مروة, حسين, النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلاميّة, دار الفارابي للطباعة والنشر والتوزيع, ط/٢, ٢٠٠٨م, بيروت, ص٨. ظ : طيب تيزيني, محمد, من التراث إلى الثورة, حول نظرية مقترحة في التراث العربي, دار ابن خلدون للطباعة والنشر, ط/٣, ١٩٧٦م, بيروت, ص٢٣٠

١٠-ظ: اركون, محمد, تأريخيّة الفكر العربي الإسلاميّ, تر: هاشم صالح, مركز الانماء القومي, ط/٢ , ١٩٩٦م, بيروت .

١١-اركون, محمد, الفكر الإسلاميّ- قراءة علمية .

١٢-ظ: اركون, محمد, الفكر الإسلاميّ, قراءة علمية .

١٣-اركون, محمد, تأريخيّة, الفكر العربي الإسلاميّ, قراءة علمية .
١٤-ظ: ابو زيد, نصر حامد, الخطاب والتأويل, المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع, ط/٣, ٢٠٠٨م, الدار البيضاء.
١٥- حنفي, حسن, هموم الفكر والوطن, دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع, ط/٢, ١٩٩٨م, القاهرة.
١٦-ظ: معرفة, بن محمد علي (ت/١٤٢٧ه), التمهيد في علوم القرآن, دار التعارف للمطبوعات والنشر, ط/١, ١٤٣٢ه, بيروت .
١٧-ظ: العشماوي, محمد سعيد, العقل في الإسلام, دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع, ط/١, ١٩٩٦م, مصر . ظ : طيب تيزيني, محمد, النَّص القرآني امام اشكالية البنية والقراءة , ص٢١٤ . ظ:الراضوي, نائلة السليني, تاريخية التفسير القرآني- قضايا الاسرة واختلاف التفاسير, المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع, ط/١, ٢٠٠٢م, الدار البيضاء, ص١٧
١٨-ظ: المزيني, خالد بن سليمان, المحرر في اسباب نزول القرآن, دار ابن الجوزي للطباعة والنشر والتوزيع, ط/١ , ١٤٢٧ه, السعودية .
١٩-الشرفي, عبد المجيد, الإسلام بين الرسالة والتاريخ, دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع, ط/١, ٢٠٠١م, بيروت .
٢٠-الزركشي, بدر الدين, محمد بن عبد الله الزركشي (ت/٧٩٤ه) , البرهان في علوم القرآن , تح: احمد على الدمياطي , دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع, ط/١ , ١٤٢٧ه, القاهرة .
٢١-ابو زيد, نصر حامد, مفهوم النَّص -دراسة في علوم القران, المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع, ط/١, ٢٠١٤م, المغرب .
٢٢-ابو زيد, نصر حامد, مفهوم النَّص .
٢٣-ظ: اركون, محمد, الفكر الإسلاميّ, نقد واجتهاد, تر: صالح هاشم, دار الساقي للطباعة والنشر والتوزيع, ط٤, ٢٠٠٧م, بيروت .
٢٤-ابو زيد, نصر حامد, النَّص والسلطة والحقيقة, المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع, ط/١, ١٩٩٥م, الدار البيضاء .
٢٥-ظ : عسكراني, ريمة وشبايكي, الجمعي, القراءة الهرمنيوطيقيّة لنصّ القرآني عرض ونقد, بحث مساهم في الملتقى الدولي الثالث:القراءات الحداثيّة للعلوم الإسلاميّة , العدد/٤ , لسنة ٢٠١٣م .
٢٦-ظ: ابو زيد, نصر حامد, التجديد والتحريم والتأويل بين المعرفة العلمية والخوف من التفكير, المركز الثقافي العربي للطباعة والنش٠ر والتوزيع, ط/١, ٢٠١٠م, المغرب .
٢٧-الزرقاني, محمد عبد العظيم, مناهل العرفان في علوم القرآن, تح: فواز احمد, دار الكتاب العربي, ط١/ ١٤١٥هـ, بيروت .
٢٨-الخوئي, علي اكبر بن هاشم تاج الدين الموسوي(ت/١٤١٣ه), البيان في تفسير القرآن, مطبعة انوار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع, ط/٨, ١٤٠١ه, ايران . ظ: الشوكاني, محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني(ت/١٢٥٠ه), إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول, تح: أحمد عزو عناية, دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع, ط/١, ١٤١٩ه, بيروت, ٥٢/٢ . ظ: الغزالي, المستصفى, ٢٣١/١
٢٩-ظ: المفيد, محمد بن الحسن بن النعمان العكبري (ت/٤١٣ه), اوائل المقالات في المذاهب والمختارات, دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع,

ط/٢, ١٤١٤هـ, بيروت .

٣٠-ابو زيد, نصر حامد, التجديد والتحريم والتأويل بين المعرفة العلمية والخوف من التفكير.

٣١-ظ: اركون, محمد, الفكر الإسلاميّ -قراءة علمية .

٣٢-ظ تيزيني, الطيب, النَّص القرآني امام اشكالية البنية والقراءة, دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع, ط/١ , ١٩٩٧م , دمشق . ظ: الخيون, رشيد, جدل التنزيل, منشورات دار الجمل للطباعة والنشر والتوزيع, ط/١, ٢٠٠٠م, بيروت, ص٢٠. ظ: تسهير, اجناس جولد: العقيدة والشريعة في الإسلام - تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلاميّ, تر: مجموعة من المترجمين, دار الكتب الحديثة بمصر للطباعة والنشر والتوزيع, ط/٢, ١٩٥٩م, مصر, ص١٣٤, ١٣٥. ظ: بلاشير, ريجي, القرآن نزوله وتدوينه, تر: رضا سعادة, دار الكتاب اللبناني, ط/١, ١٩٧٤م, لبنان, ص٤٨, ٤٩

٣٣-الناصر, محمد حامد, العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب, مكتبة الكوثر للطباعة والنشر والتوزيع, ط/٢, ١٤٢٢ه, الرياض .

٣٤-ابو زيد, نصر حامد, مفهوم النَّص .

٣٥-ظ: حنفي, حسن, من العقيدة إلى الثورة - المقدمات النظرية, دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع, ط/١,١٩٨٨م, بيروت .

٣٦-هنالك نظريات أُخرى لتحديد المكي والمدني في النَّص القرآني , الاولى: اعتمدت البعد الجغرافي, وهو معيار مكاني, من حيث أنّ الوحي في تلقيه مرهون بمكان المتلقي الاول, فالمكي ما نزل في مكة والمدني ما نزل في المدينة. والثانية : اعتمدت جهة توجيه الخطاب في النَّص من حيث أنّ هذا النَّص مقصوده وغايته في الدرجة الاولى هم المخاطبون به, فما كان خطابًا لأهل مكة فهي مكيّة, وما كان خطابًا لأهل المدينة فهي مدنية. ظ: الزركشي, البرهان في علوم القرآن, ١٨٧/١ . ظ : الحسيني, محمد علوي المالكي, زبدة الاتقان في علوم القران, مطبعة الرشيد للطباعة والنشر والتوزيع, ط/١ , ١٤٣٤ه, المدينة المنورة, ص١٢

٣٧-ابو زيد, نصر حامد, مفهوم النَّص .

٣٨-ظ: الطعّان , احمد ادريس, العلمانيون والقران الكريم تاريخية النَّص, دار ابن الجوزي للطباعة والنشر والتوزيع, ط/١, ١٤٢٨ه, الرياض .

٣٩-حرب, علي, ازمة الحداثة الفائقة, الاصلاح, الارهاب, الشراكة, المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع, ط/١, ٢٠٠٥م, بيروت .

٤٠-ظ: السيد القمني, محمود, الفاشيون والوطن, المركز المصري لبحوث الحضارة, ط/١, ١٩٩٩م, الجيزة .

٤١-ابن عاشور, محمد الطاهر بن محمد التونسي(ت/١٣٩٣هـ), تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد, الدار التونسية للنشر, ط / ١, ١٩٨٤ه, تونس .

٤٢-القول للفيلسوف الالماني(فريدريك نيتشه) ظ: مصطفى, عادل, فهم الفهم, مدخل إلى الهرمنيوطيقا, نظرية التأويل من افلاطون إلى غادامر .

٤٣-هو مذهب فلسفي إلحادي يرى أنّ العالم كله بما في ذلك وجود الإنسان عديم القيمة وخالي من أي معنى او مضمون حقيقي, فهو

ينكر القيم الاخلاقية ويعدّها مجرد وهم وخيال, وهذا النظرية تعتبر العدم هو نهاية الوجود, ومن أبرز فلاسفة هذه النظرية فريدريك نيتشه صاحب مقولة موت الاله. ظ: حسيبة, مصطفى, المعجم الفلسفي, ص٣١٠

٤٤-ظ: اللاهوري, محمد اقبال, تجديد التفكير الديني في الإسلام, تر: عباس محمود, مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلاميّ للطباعة والنشر والتوزيع, ط/١, ٢٠١٧, بيروت .

٤٥-حنفي, حسن, من العقيدة إلى الثورة (بنية النّص), مركز الكتاب للنشر والطباعة والتوزيع, ط/١ , ٢٠٠٥م , القاهرة .

٤٦-حرب, علي, نقد الحقيقة, المركز الثقافي العربي, ط١/ ١٩٩٣م, بيروت .

٤٧-ظ: الميلاد, زكي, نقد اقبال , مطالعات ومناقشات في الاتجاهات النقدية, بحث منشور في مجلة الفكر الإسلاميّ المعاصر, العدد /٨٤, لسنة ٢٠١٦م , تصدر عن المعهد العالمي للفكر الإسلاميّ .

٤٨-ظ : منقور, عبد الجليل , علم الدلالة – اصوله ومباحثه في التراث العربي , مكتبة الاسد للطباعة والنشر والتوزيع , ط١/ , ٢٠٠١م , دمشق .

٤٩-الجمل, بسام, اسباب النزول, المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع, ط/١, ٢٠٠٥م, الدار البيضاء .

٥٠-الطباطبائي, محمد حسين,(ت/١٤٠٢هـ), مجموعة رسائل العلامة الطباطبائي, تح: صباح الربيعي, مكتبة فدك للطباعة والنشر والتوزيع, ط/١, ١٤٢٨هـ, ايران. ظ: الطباطبائي, العقائد الإسلاميّة, مؤسسة الاعلمي للمطبوعات والنشر, ط/١, ١٤٢٣هـ, بيروت, ص١٤٩ – ١٥٥

٥١-حب الله, حيدر حيدر محمد كامل, الوحي والظاهرة القرآنية, مركز البحوث المعاصرة, ط/١, ٢٠١٢م, بيروت .

٥٢-ظ: محمد, يحيى, جدليّة الخطاب والواقع, افريقيا الشرق للطباعة والنشر, ط/١, ٢٠١٢م, المغرب.

٥٣-معرفة, محمد هادي بن محمد علي (ت/١٤٢٧هـ), تلخيص التمهيد, مؤسسة التمهيد للطباعة والنشر والتوزيع, ط/٢, ١٤٣٣ه, قم المقدسة .

٥٤-البحراني, هاشم بن سليمان بن اسماعيل بن عبد الجواد الموسوي الكتكاني (ت/١١٠٧هـ), البرهان في تفسير القران, تح: لجنة من العلماء والمحققين الاخصائيين, مؤسسة الاعلمي للمطبوعات, ط/ ١, ١٤١٩هـ, بيروت .

٥٥-ظ: الحيدري, كمال باقر حسن, اللباب في تفسير الكتاب, دار فرقد للطباعة والنشر والتوزيع, ط/١, ٢٠١٠م, قم المقدسة .

٥٦-العياشي, تفسير العياشي .

٥٧-الطباطبائي, الميزان في تفسير القران .

٥٨-آملي, عبد الله جوادي, تسنيم في تفسير القرآن, تر: السيد عبد المطلب رضا, دار الاسراء للطباعة والنشر والتوزيع, ط/٢, ١٤٣٢هـ, بيروت .

٥٩-الحيدري, كمال باقر حسن, منطق فهم القران, دار فراقد للطباعة والنشر والتوزيع, ط١/ ٢٠١٢م , ايران .

٦٠-العياشي, تفسير العياشي .